

## المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين\*

د. يحي بوعزيز  
جامعة وهران

بدأت المؤسسات الدينية تظهر بالجزائر، وكل بلدان المغرب الأخرى منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) عندما وصل إليها الإسلام على أيدي الفاتحين المسلمين الأوائل. وكان المسجد هو النواة الأولى لهذه المؤسسات ثم ظهرت بالتدرج مؤسسات أخرى شاركتها في رسالته وخففت عنه بعض الأعباء وهي: المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية، والزوايا والمعمرات.

**فالمساجد:** وظيفتها الأساسية قيام المسلمين بأداء الصلوات فيها وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية، وتعريف شؤون الناس وعلاج مشاكلهم وقضاياهم اليومية.

---

\* أعددت هذا الموضوع وألقيته في المؤتمر الواحد والعشرين للمستشرقين الألمان بمدينة برلين الغربية في الفترة ما بين 24 إلى 29 مارس 1980.

### وهي ثلاثة أنواع:

أ. نوع مما أسسه الحكام كالخلفاء والأمراء والولاة، والملوك، كجزء من عملهم الوظيفي لخدمة المجتمعات الإسلامية وتيسير سبل أداء شعائهم الدينية، ولكسب عطف الرعية، ولريما الشهرة كذلك، ومن ضمنها بالجزائر، جامع بن مروان، وصالح باي بعنابة، وجامع الباي بقسنطينة، والجامع الكبير بالجزائر العاصمة وجامع الباشا بوهران، والجامع الكبير بتلمسان والجامع الكبير بندرومة.

ب. ونوع مما أسسه كبار الأثرياء للتقرب إلى الله واستمالة بعض الفئات الاجتماعية وشيوخ الدين، ولكسب الشهرة كذلك، وأعداد هذا النوع كثيرة بالجزائر، ومن ضمنها: جامع سيدي لخضر بقسنطينة، وسيدي رمضان وسيدي عبد الرحمان التعالبي بالجزائر العاصمة، وسيدي الصوفي ببجاية، وسيدي الهواري بوهران وسيدي الحلو وأبي مدين بتلمسان.

ج. ونوع ثالث مما أسسته الهيئات والجمعيات الخيرية الدينية والاجتماعية كتكملة لعمل الولاة وكبار الأثرياء وشيوخ الدين وأعدادها كثيرة جدا، ولا تحصى بالجزائر وكل بلدان المغرب الأخرى بالحوضر والقرى، وكذلك الحال في معظم بلدان العالم الإسلامي.

**والمدارس العلمية :** وظيفتها تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية وظهرت بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية واتصل المسلمون بحضارات شعوب أخرى غير إسلامية، واحتكوا بها ودعت الحاجة إلى اقتباس علومها ومعارفها والاستفادة منها، ولم يكن باستطاعة المسجد وحده أن يقوم بهذا

الدور فاهتم المسلمون بإنشاء مثل هذه المدارس وتعميمها ومن ضمنها المدرسة النظامية ببغداد والظاهرية بدمشق، والبرقوقية، والغورية بمصر الحفصية، والسليمانية، والتوفيقية، والمرادية، والشماعية في تونس، والكتانية، بقسنطينة والمروانية بعنابة، والتاشفينية ببجاية، والامامية، واليعقوبية بتلمسان.

وجرت العادة أن تؤسس هذه المدارس بجوار المساجد، نظرا للصلة الوثيقة بين الدين والعلم ولكن هذا ليس شرطا، غير أن كل مدرسة لا بد أن يؤسس داخلها بيت (مسجد) للصلاة.

وتنوعت العلوم والمعارف التي تدرس بها إلى ثلاثة أصناف:

**أولاً:** العلوم الدينية: مثل تحفيظ القرآن وشرحه وتفسير الحديث، وتعليم الفقه والتوحيد و المنطق، والأصول.

**ثانياً:** علوم اللغة والأدب: كالنحو، والصرف، والبلاغة، والعروض والقوافي، وقواعد الإنشاء باعتبارها أداة ووسيلة، لإتقان العلوم الدينية.

**ثالثاً:** العلوم الطبيعية والتجريبية: كالفلك، والحساب، والطب، والصيدلة العشبية، وغيرها.

وتوجد بالجزائر مجموعة من هذه المدارس ما يزال البعض منها قائما حتى اليوم ولو كهياكل مثل مدرسة ابن مروان بعنابة، والكتانية، وسيدي لخضر بقسنطينة، والتاشفينية ببجاية، وأبناء الإمام، وسيدي بومدين بتلمسان، وسيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر العاصمة، وكانت هناك مدارس بمازونة، ومليانة، وندرومة وغيرها.

**والكتاتيب القرآنية:** وظيفتها تحفيظ القرآن للأطفال وترتيله لهم، وقد دعت الحاجة لتأسيسها من أجل تجنب المساجد أوساخ الأطفال وضوضائهم، والاحتفاظ بنقاوتها، وطهارتها ووقارها ليجد فيها المصلون، والمتعبدون جو الخشوع المطلوب في العبادة.

وهذه الكتاتيب أحيانا بيوت منفردة وأحيانا مجمعات من البيوت، مختلفة الأحجام والأشكال، والأغلبية من تأسيس حفظة القرآن الكريم للإرتزاق والحصول على لقمة العيش. وقد بدأت هذه الكتاتيب القرآنية تظهر منذ صدر الإسلام بالمدينة قبل هجرة الرسول، ثم انتشرت في سائر البلدان الإسلامية، ومنها الجزائر وبلدان المغرب التي تطورت فيها تطورا كبيرا وواسعا في العصر الحديث، وتكثفت في عهد الاستعمار الفرنسي خلال القرنين، 19، و 20 كأسلوب ووسيلة لمواجهة سياسة التنصير والتمسيح والفرنسة وحماية الشخصية العربية الإسلامية للجزائر، ولمقاومة سياسة التجهيل التي كانت تتبعها الإدارة الاستعمارية في البلاد.

وهي موجودة في كل الحواضر والقرى بصورة مكثفة كما ذكرنا ويطلق عليها في الجزائر الوسطى اسم "المسيد" بسكون الميم وكسر السين الممدودة، ويتولى تحفيظ القرآن الكريم فيها حفظة القرآن الذين يطلق عليهم اسم "الطلبة" (بضم الطاء المشددة وسكون اللام) في بعض الجهات، و(الفقهاء) في بعض الجهات الأخرى و(المشايخ)) في غيرها.

ويزدحم الأطفال حولهم ذكورا وإناثا، من مختلف الأعمار ويجلسون على الأرض فوق الحصائر والمساجد، في شكل دوائر نصفية فيملون عليهم أجزاء من

القرآن الكريم يكتبونها على ألواح خشبية مطلية بطين الصلصال (الغراء)، بأقلام من القصب، وصمغ مصنوع من الصوف المحروق.

وبعد كتابته وتصحيحه، في الفترة الصباحية يتمرن الأطفال على قراءته قراءة أولية ثم يتلون في المساء ويقرؤونه بأصوات جهورية، حتى يحفظونه ثم يمحوه في صباح اليوم الموالي، ويكتبون غيره، وهكذا بصفة دورية ودائمة حتى يأتوا على كل سور وأحزاب القرآن الكريم.

وفي العادة يتم تعليم القرآن في الصباح من الخامسة والسادسة حتى العاشرة وفي المساء من الساعة الثالثة عشرة إلى السابعة والثامنة عشرة مع راحة في الوسط قبيل صلاة العصر، غير أنه في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر جرت العادة في المدن على ممارسة تحفيظ القرآن وتعليمه في الأوقات التي تكون فيها المدارس الرسمية مغلقة بين الخامسة والسابعة والنصف صباحا والثانية عشر والثالثة عشر والنصف في منتصف النهار، والسابعة عشر والتاسعة عشر وما بعدها مساء وذلك حتى يتمكن بعض الأطفال المحظوظين من الالتحاق بهذه المدارس الرسمية الفرنسية من جهة، ثم إن الإدارة الاستعمارية نفسها ضايقته في ذلك حتى لا تبدو هذه الكتاتيب القرآنية مزاحمة للمدارس الفرنسية رغم أن أبوابها مغلقة وموصدة في وجه معظم الأطفال الأهالي الجزائريين.

وإلى جانب تحفيظ القرآن، يتلقى الأطفال في بعض هذه الكتاتيب الكبيرة قواعد تلاوة القرآن الكريم وتجويده وترتيله على الروايات السبع والعشر، ويحفظون بعض متون العلوم الفقهية والشرعية واللغوية مثل: ابن عاشر والشاطبية وألفية ابن مالك.

ويقبل الجزائريون جميعا على ارسال أطفالهم إلى هذه الكتاتيب بدون تراخ حتى الذين لا يطبقون التعاليم الدينية لأن القرآن الكريم يمثل الرمز والعنوان لإسلام الجميع والكل يحرصون على أن يبدووا ويظهروا مسلمين حتى ولو كان البعض لا يطبق مبادئه وأركانه ولا يعمل بها.

ومعظم هذه اكتاتيب القرآنية في الجزائر، بسيطة المظهر والمبنى، قليلة الامكانيات المادية، وأصحابها (الطلبة ) و(المشايع) من الطبقة الفقيرة جدا والكادحة يتصدون لتعليم القرآن في هذه الكتاتيب للحصول على لقمة العيش أساسا ويستعملون العصي والأسواط لتأديب الأطفال الشرسين والبلهاء والمنحرفين والأغلبية منهم يحفظون القرآن دون فهمه، ويلقونه كذلك للأطفال خاصة في الأرياف، ومن ضمن هذه الكتاتيب والمسيدات في حي القصبة وحده بالجزائر العاصمة:

1. مسيد برقيصة
2. مسيد سيدي بوقدور وضريحه
3. مسيد سيدي ابن علي وفريحه
4. مسيد الحمامات
5. مسيد حوانيت سيدي عبد الله
6. مسيد الدالية، واندثر حاليا
7. مسيد جامع الزاوية وهي زاوية سيدي محمد الشريف الزهار
8. مسيد جامع سفير .

رغم المظهر المزري أحيانا لهذه الكتاتيب القرآنية وفقر أصحابها، ورغم الأساليب العتيقة المتخلفة التي كانت تطبق وتتبع داخلها، فإن دورها هام جدا

في المحافظة على القرآن الكريم وعلى الطابع العربي الإسلامي للجزائر شكلا ومحتوى وفي مقاومة وإفشال سياسة التنصير والفرنسة.

**والزوايا:** عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام، تشتمل على بيوت للصلاة كمساجد، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم العربية الإسلامية، وأخرى لسكنى الطلبة، وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية والعلف وإيواء الحيوانات التي تستغل في أعمال الزاوية.

ومؤسسو هذه الزوايا رجال دين متصوفون، متزهدون، بدأت حركتهم تظهر في المشرق الإسلامي منذ القرن 2 هـ على يد رابعة العدوية، ثم أبي يزيد طيفور البسطامي الفارسي، وأبي القاسم الجنيد العراقي في القرن 3 هـ (9 م) والحلاج في القرن 4 هـ وأبي حامد الغزالي في القرن 5 هـ ومحي الدين بن عربي الأندلسي في القرن 7 هـ وهكذا ومن المشرق الإسلامي انتقل الزهد والتصوف إلى بلاد المغرب وانتشر بها أواخر العصر الوسيط ومطلع العصر الحديث، وكثرت الزوايا وانتشرت بشكل واسع ومكثف في القرن السابع عشر وما بعده، خاصة خلال الزحف الاستعماري الفرنسي في القرنين 19 ومطلع القرن العشرين.

**وهي نوعان :**

أ. نوع خلواتي يدعى شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية خاصة، والقدرة على تلقينها لأتباعهم الذين يلقبونهم : "بالمريدين" والاخوان و"الفقراء" حسب اختلاف الجهات والمناطق، فيفرضون عليهم أذكارا معينة يتلونها في خلوات

خاصة معزولة ومظلمة لمدة محدودة حتى يفتح الله عليهم، ثم يخرجونهم ليصبحوا مريدين حقيقيين، بعد ذلك يفرضون عليهم أذكارا عامة تدعى (الورد) بكسر الواو، وسكون الراء، يتلونها يوميا بصورة جماعية غالبا بعد صلوات العصر والمغرب، والصبح، وأحيانا حتى بعد صلاة الظهر، وهذه الظاهرة هي التي استوجبت تسمية شيوخ هذه الزوايا الخلواتية، بالطرقيين لأن لكل واحد منهم طريقة خاصة، ذات تقاليد وأشكال، وأذكار، وأوراد، معينة يفرضها على اتباعه من الفقراء والاخوان، والمريدين وعلى سبيل المثال، الحضرة لدى العلوية، وحلقة البندير والأمواس، لدى العيساوية والعمارية.

وعندما تكون الزاوية ميسورة الحال من الناحية المادية وذلك بغنى شيخها، أو بكثرة الأوقاف التي حبست عليها، والصدقات التي ترد عليها من الأنصار والاتباع، ترتب التلاميذ والطلبة لتحفيظهم القرآن الكريم وتعليمهم العلوم الدينية، واللغوية خاصة الفقه والحديث والتوحيد وقواعد اللغة.

ويقوم شيخ الزاوية نفسه بمهمة التعليم إن كان مثقفا وفي حال العكس يوظف من يقوم بالمهمة بدله، ويحمل نوابع ألقاب: المقدم، والوكيل، والنقيب، والرقيب، والخليفة، حسب اختلاف الجهات.

**ب. والنوع الثاني :** غير خلواتي لا يدعى شيوخها معرفة أسرار غيبية دينية معينة ولكن يتخذون لأتباعهم (وردا) خاصا من الأذكار يتلوننها وراء الصلوات، ويتصدون لتعليم القرآن أساسا للأطفال، وتلاوته، ولتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية بأنفسهم إن كانوا متقنين وبواسطة حفاظ القرآن الكريم

وبعض المثقفين الآخرين من أنصارهم واتباعهم، ومن هنا يمكن اعتبار هذا الصنف من الزوايا بمثابة كتاتيب قرآنية وكثيرا ما يكون لهذه الزوايا بنوعيتها خاصة الخلواتية، فروع كثيرة داخل البلد وخارجه، فالتيجانية مثلا لها فروع في معظم بلدان القارة الافريقية وفي مصر والحجاز وبعض البلدان الاوربية، وكذلك السنوسية والعلوية والرحمانية التي لها فروع في باريس وكارديف واليمن، والحجاز، والشمال الافريقي، وأعماق الصحراء، ومما تجدر ملاحظته أن البعض من شيوخ هذه الزوايا وعددهم ليس بالقليل أميون ولكن نفوذهم وتأثيرهم كبير جدا على اتباعهم ومريديهم بما يفرضونه عليهم من أذكار وأوراد وتسابيح وتقاليد، واستفادوا من المثقفين الذين ينضمون إلى صفوفهم في كتابة وتأليف كتب دينية في الزهد والتصوف وبعض أبواب الفقه بأسمائهم، ومن أمثلة ذلك الشيخ بن عليوة صاحب الطريقة العلوية بمستغانم في النصف الأول من القرن الحالي، والشيخ الحداد مقدم الطريقة الرحمانية بصدوق في النصف الثاني من القرن الماضي

#### ومن ضمن هذه الزوايا بالجزائر :

1. الشاذلية: 658 هـ (1258 م)
2. العيساوية 936 هـ (1523-1524 م)
3. الكرزاوية (الأحمدية) 1016 هـ (1608 م)
4. الشيخية 1026 هـ (1615 م)
5. الطيبية 1089 هـ (1678-1679 م)
6. الحنصالية 1114 هـ (1702 م)
7. القادرية 1125 هـ (1743 م)

8. الزبانية (القندوسية) 1145 هـ (1713 م)
9. التيجانية 1196 هـ (1781-1782 م)
10. الرحمانية 1208 هـ (1793-1974 م)
11. السنوسية 1250 هـ (1835 م)

وكل زاوية من هذه الزوايا لها فروع كثيرة تحمل أسماء مختلفة حسب المناطق والمشايخ، والمقدمين، وقد أورد الضابط لويس رين للشاذلية وحدها إحدى وعشرين طريقة وزاوية فرعية لكل منها كاسم خاص.

### أهمية هذه الزوايا:

لعبت الزوايا الدينية، بمختلف أشكالها وأنواعها أدوارا كبيرة في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية، بل وحتى السياسية بالجزائر، وكل بلدان المغرب أغلبها إيجابي والبعض سلبي.

### فمن الناحية الإيجابية:

1. اهتمت بتحفيظ القرآن، ونشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة وعمقته بين مختلف الطبقات الاجتماعية وساعد ذلك على حمايته من النسيان والضياع والاندثار.

2. احتفظت باللغة والثقافة العربية الإسلامية ونشرتهما بشكل واسع ومكثف وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة وانفقت عليهم بسخاء وكان ذلك شكلا من أشكال مقاومة الجهل والامية.

3. عملت على نشر العلم والمعرفة كما عملت ضد سياسة التجهيل التي كانت الإدارة الاستعمارية الفرنسية تتبعها ضد الاهالي الجزائريين، ونشر الإسلام في المواطن والاصقاع التي لم يصل إليها خاصة الأقاليم الصحراوية النائية، كما فعلت التيجانية والسنوسية.

4. عملت على ازالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية المختلفة فقريت بين الأغنياء والفقراء، والعلماء، والأميين وشرفاء الأصل وغيرهم وصهرتهم في بوتقة واحدة، وألفت بينهم جميعا في إطار مفهوم الآية القرآنية الكريمة: "إن أكرمكم عند الله اتقاكم" ومفهوم الأحاديث النبوية المختلفة مثل: "المسلمون كأسنان المشط" و"لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى" وهذا الجانب له أهمية خاصة في تاريخ الزوايا بالجزائر، ومعظم البلاد الإسلامية.

5. لعبت دورا بارزا في انهاء الخلافات والخصومات بين مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية، وذلك بفضل مركز شيوخها، ومقدميها ووكلائها، فلعبت دور الحكم، وقللت من المشاكل، وتمتع المجتمع الجزائري بنوع من الاستقرار النفسي والخلقي، وساعده ذلك على التفرغ لمقاومة السيطرة الأجنبية الاستعمارية.

6. كانت هذه الزوايا بمثابة مخازن، ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون، وذلك بفضل اهتمام شيوخها واتباعها بالعلم والتعليم والنسخ، والنقل، والتأليف، والجمع، غير أن معظم ما بها من تراث تسرب إلى البلدان الأوروبية خلال فترة السيطرة الاستعمارية على الجزائر وبلدان

المغرب الأخرى، وتعرض جزء هام من هذا التراث إلى التلف والضياع خلال مرحلة المقاومة للزحف الاستعماري الأوروبي في القرنين 19، و 20 وخاصة في حرب التحرير الأخيرة 1954 و 1962 بالجزائر.

7. شاركت هذه الزوايا مشاركة فعالة في مقاومة نظم الحكم الطاغية والمستبدة سواء منها المحلية أم الاستعمارية فحاربت الدقاوية الولاية الاتراك المستبدين في شرق الجزائر وغربها وحاربت الرحمانية، والسنوسية الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وليبيا، وتصدى زعمائها للمقاومة طيلة القرن 19 سواء وحدهم أم مع الزعماء السياسيين والعسكريين، وكنموذج لذلك: الأمير عبد القادر وزعماء أولاد سيدي الشيخ، والحاج موسى الأغواطي، والشيخ الحداد، والشيخ بوعمامة.

8. بذلت هذه الزوايا جهودا كبيرة وكثيفة في مقاومة الفرنسة والتنصير وعملت على حماية الشخصية العربية الإسلامية للجزائر بواسطة نشر الدين واللغة والثقافة العربية بمختلف الوسائل والسبل والامكانيات وفي كل الأوقات والظروف، وكان ذلك خيرا وبركة على الجزائر وشعبها.

### ومن الناحية السلبية:

1. اتبعت هذه الزوايا أساليب عتيقة ومناهج متخلفة وتمسكت بتقاليد بالية لم تكن تتلاءم مع التطورات الحديثة التي صاحبت النهضة الأوروبية الحديثة حتى ولو كانت لا تتعارض مع التقاليد العربية الإسلامية وكان هذا بمثابة تحجر إن لم نقل إنه عناد وتحد ومن هنا ساد التخلف الذهني والاجتماعي بين أتباعها الكثيرين إلا القليل منهم، وعمهم الركود والتفوق.

2. انتشرت الدروشة والخرافات والآباطيل والبدع الدينية بين اتباعها وشيوخها بسبب ضيق أفقهم الفكري وعجزهم عن فهم التطورات القائمة والحركات الإصلاحية التي ظهرت في بعض بلدان الشرق الإسلامية حتى ولو لم تكن في المستوى المطلوب وبالطبع فإن عزل الجزائر عن العالم العربي الإسلامي من طرف الاستعمار الفرنسي له دور في هذا التحجر.

3. احتدمت الخلافات والخصومات بين بعض شيوخ هذه الزوايا لأغراض شخصية حول النفوذ والمكانة الاجتماعية، وحول بعض القضايا الدينية الهامشية التافهة، وكان ذلك سببا في قيام المشاحنات، والحزازات بين الاتباع كذلك، وفي بعض الأحيان كان للإدارة الاستعمارية دور بارز في خلق هذا الخلاف وإذكائه من أجل إشغال الأهالي الجزائريين عن فكرة الثورة والتحرير.

4. استسلم في القرن العشرين معظم زعماء وشيوخ الزوايا للإدارة الاستعمارية بعد أن أصابهم العياء والوهن، وتعاونوا معها وخدموها لأسباب ودوافع متنوعة: البعض للتقية والبعض للحصول على المال، أو الجاه أو السلطة والنفوذ.

**والمعمرات:** عبارة عن مؤسسات ثقافية لها شبه بالكتاتيب القرآنية أحيانا وبالزوايا غير الخلواتية أحيانا أخرى، وتنتشر في أرياف الجزائر وقرراها الجبلية خاصة في منطقة جبال القبائل بالشرق الجزائري، ويحضر إليها التلاميذ والطلبة من كل الجهات القريبة والبعيدة وأحيانا حتى خارج البلاد نفسها

وينقطعون فيها لحفظ القرآن الكريم وتجويده وترتيله بصفة أساسية ولتلقى بعض العلوم والمعارف الأخرى الدينية واللغوية بالتبعية.

ويقومون بتسيير هذه المعمرات تسييرا ذاتيا فيما يخص النظافة والصيانة، وطهي الطعام وجلب المؤن الغذائية والمياه، ورعي حيوانات المؤسسة ويتداولون ذلك بصفة دورية منتظمة وديمقراطية وفق أعراف متداولة ومتعارف عليها من زمن بعيد.

وينقسم الطلبة والتلاميذ في هذه المعمرات إلى عدة طبقات حسب السن وحسب القدم والثقافة أهمها ثلاثة:

1. طبقة القدادشة "جمع قداش" أو التلاميذ الصغار الذين يحضرون لحفظ القرآن الكريم فقط في بداية أمرهم.

2. طبقة الطلبة الذين هم فوق القدادشة ثقافة، وقدماء، ويقومون بحفظ القرآن وتعلم بعض العلوم الدينية واللغوية، وتوكل إليهم مهمة الاشراف على القدادشة في تحفيظ القرآن وعلاج المشاكل اليومية المختلفة كالتغذية، والمراجعة، والتنظيف، والنوم والاستيقاظ وغيرها.

3. طبقة المقدمين والوكلاء، والشيوخ الكبار وهي أعلى طبقة تتمتع بمزايا التوجيه للمؤسسة ماديا وفكريا ولها كامل الصلاحيات في علاج المشاكل، وتعفى من ممارسة الأعمال اليومية المرهقة والمتعبة، وغير اللائقة بمقامها.

يرأس المعمرة شيخ مسن يحمل لقب "المقدم" أو "الوكيل" ويساعده عدد من كبار الطلبة والمقدمين الثانويين وتؤدي الصلاة فيها بصورة جماعية كما يتلى القرآن

كذلك بصفة جماعية خاصة بعد صوات: العصر والمغرب، والصبح، ويدعونه "بالحزب الراتب" أي المرتب والمنتظم بصفة دائمة.

وقد لعبت هذه المعمرات دورا بارزا كذلك في تعليم القرآن وتحفيظه ونشره وتعميمه بين الأجيال الاسلامية وفي تعليم بعض العلوم الدينية واللغوية، ولو بصورة ثانوية في بعض الأحيان، واحتضنت الفقراء وآوت المساكين وقدمت لهم العون والمساعدات المجانية الممكنة ماديا وثقافيا وساعدتهم على شق طريق الحياة إلى المستقبل فتخرج منها أجيال من المثقفين ارتبط البعض منهم بحركة النهضة الفكرية الاصلاحية في القرنين الماضي والحالي، وشاركوا في نشر العلم والثقافة بهذه البلاد وقاوموا الجهل والخمول والسيطرة الاستعمارية بأشكال مختلفة، ومن أمثلتهم الشيخ البشير الإبراهيمي.

ومن ضمن هذه المعمرات في منطقة القبائل:

1. معمرة سيدي علي بن يحي في بني كوفى
2. معمرة سيدي علي أو موسى بالمعائقة
3. معمرة سيدي عمر الشريف على ساحل دلس
4. معمرة سيدي عمر الحاج على ساحل دلس كذلك
5. معمرة سيدي منصور بالعزازقة
6. معمرة سيدي أحمد بن ادريس بعرض ايلولن بدائرة العزازقة
7. معمرة سيدي عبد الرحمن اليلولي
8. معمرة سيدي بهلول الشرفة قرب العزازقة

9. معمرة سيدي يحي العيدلي ببني عيدل.
10. معمرة سيدي محمد بن عبد الرحمن بوقبرين
11. معمرة سيدي مخلوف بمزيتة
12. معمرة سيدي أحمد أويحي بأمالو في بني عيدل
13. معمرة فريحة بني ورتلان
14. معمرة شلاطة ببلولة أمالو لابن علي الشريف
15. معمرة العراش للشيخ محمد أمزيان بن الموهوب.
16. معمرة زرعة بأولاد حالة
17. معمرة تفرق بجبال تغرق
18. معمرة الجعافرة بني عيدل.

### المصادر المالية لهذه المؤسسات الدينية

تعتمد هذه المؤسسات الدينية من الناحية الاقتصادية على مصدرين هامين ورئيسيين هما:

#### المصدر الأول:

الاعانات التي يقدمها لها المحسنون من الأثرياء في شكل نقود وبضائع ومواد غذائية (حبوب وزيت) وحيوانات وأدوات والبسة، ومفروشات وغيرها.

#### المصدر الثاني:

أموال الحبس والأوقاف الإسلامية التي يوقفها عليها الأشخاص والهيئات الخيرية والجماعات وبعض الولاة، والامراء، وتتنوع إلى أراضي زراعية وحقول للأشجار المثمرة والغلال كالزيتون والتين والخروب، والحيوانات الحلوبة والمحلات التجارية والحمامات المعدنية بالأرياف وغير المعدنية في المدن تدر عليها الأموال اللازمة للصرف على احتياجاتها المختلفة كالتغذية والانارة والتنظيف والتبييض والتأثيث والصيانة والإنفاق على طلبة العلم والعلماء والفقراء وإجراء الإصلاحات المطلوبة للمؤسسة.

وتتفرد الزوايا بمصدر ثالث يتمثل في أموال الزيارات: Les offrandes والوعادي (جمع وعدة) التي يقدمها إليها زوارها من الإخوان والاتباع، والمريدين والمحبين على شكل نقود وبضائع ومواد غذائية متنوعة وألبسة تختلف كمياتها ومقاديرها وأنواعها حسب اختلاف أهمية الزائرين ومصادر أموالهم وثرواتهم ومدى حبهم وتقديرهم للزاوية وشيخها.

وكثيرا ما تؤول هذه المعمرات والزوايا، وفودا من طلبتها وتلاميذها والمشرفين عليها ليخرجوا إلى الأقاليم البعيدة لجمع أموال الصدقات والزيارت والزكاة في مواسم معينة مثل موسم جني الزيت والزيتون في الشتاء، وموسم جني الحبوب في الصيف وموسم الحيوانات ولحم القديد، والزبدة في الربيع وموسم الزكاة في عاشوراء محرم.

وبفضل هذه الأموال والصدقات المتنوعة، تتولى هذه المؤسسات خاصة الزوايا والمعمرات الانفاق على طلبة العلم وحفظ القرآن الكريم والقائمين على

خدمتها من الوكلاء والمقدمين والمؤذنين والأئمة والمشائخ وإطعام الفقراء والمساكين وأبناء السبيل.

ويمكن ايراد نموذج لأملاك هذه الزوايا والمعمرات بزواية الحداد في صدوق وزاوية كرزاز في الجنوب الوهراني.

### أملاك زاوية الشيخ الحداد بصدوق:

كانت زاوية الحداد تتفق على ما بين 200 و 500 طالب بصفة دائمة ويعد زوارها بالآلاف كل سنة وتبلغ مساحة أملاكها العقارية 502 هكتار و 52 آرا. و5 سنتيara، وتحتوي على الأملاك التالية:

62 ضيعة فلاحية للحبوب، والغلal البعلية، خاصة التين والزيتون 06 بساتين مسقية للخضر والفواكه والغلal.

14528 شجرة مثمرة أغلبها زيتون والباقي تين ويرتقال وتفاح وإجاص وorman وبرقوق.

06 أحواش تحتوي على 41 غرفة

15 دكانا ومخزنا للتجارة

03 اصطبلات

03 رحايات.

01 معصرة زيتون

01 مسجد.

أملاك زاوية كرزاز:

2270 راس غنم

393 معزة

340 جملا

73 حمارا

19 حصانا

396 عبدا زنجيا ذكورا واناثا

810 نخلة

8 بنادق

### موقف الاستعمار الفرنسي من هذه المؤسسات الدينية

تعرضت المؤسسات الدينية بالجزائر لمحاربة شديدة طيلة الفترة الاستعمارية بمختلف الوسائل والأساليب والأشكال لأنها كانت تمثل عائقا صلبا وشديدا ضد السيطرة الاستعمارية وسياسة الفرنسة والنتتصير والتجهيل.

فالمساجد هدم الكثير منها وحول الباقي إلى كنائس وتكنات واصطبلات ومستوصفات ومراكز ادارية وأغلق البعض منها، فمدينة الجزائر مثلا كان بها 166 مسجدا وزاوية غداة الاحتلال الفرنسي لها عام 1830 ولم يبق منها إلا بضعة مساجد لا تصل حتى إلى عشرة.

وحارب الأئمة وشيوخ الزوايا ووضع حد لنشاطهم الديني والثقافي وفرضت عليهم وعلى اتباعهم مراقبة شديدة ودائمة، ونفي الكثير منهم وشردوا إلى مناطق نائية داخل البلد وخارجه، وأرغم البعض على الاشتغال بالجوسسة

لصالح الشرطة الفرنسية وتم اغلاق الكثير من الزوايا وتهديم البعض منها خاصة التي شاركت في مقاومة الاحتلال الفرنسي.

والكتاتيب القرآنية والمعمرات أغلق الكثير منها بدعوى عدم وجود رخصة لها من إدارات الشرطة واستهدف رجالها للملاحقات القضائية والمتابعات القمعية من طرف الشرطة والضباط العسكريين ومصالح المخابرات السرية وشردوا وأبعدوا.

وصادرت الإدارة الاستعمارية كل أملاك الأوقاف والحبس الإسلامية التي تمون هذه المؤسسات خاصة الأراضي الزراعية والمتاجر وحرمت تدريس أبواب الجهاد من الفقه الإسلامي ومنعت تدريس تاريخ الجزائر الوطني وجغرافيتها وراقبت الكتب التي تقتنيها وتستعملها، وشدت في منع استعمال السبورة والطباشير حتى يبقى التعليم تقليديا متخلفا، وألزمت الكثير من رجال هذه المؤسسات على التقدم إلى إدارات الشرطة بصفة دورية لبحثهم، والتعرف على نشاطهم وزوارهم ومنعت الكثير منهم من أداء واجبهم الثقافي والاجتماعي وسجنتهم ونفقتهم إلى جهات كثيرة داخل البلد وخارجه.

ومع ذلك فإن هذه المؤسسات قاومت وصمدت وواصلت رسالتها بجد ونشاط بل ويعناد في كثير من الأحيان بفضل تأييد الشعب لها وانفاقه بسخاء على نشاطات رجالها وطلبتها، وتلاميذها، فأكثر من بناء المساجد والمدارس والكتاتيب وكثر ظهور الزوايا الجديدة، وبالغ الشعب في إكرام رجالها والانفاق على مشاريعهم الدينية والثقافية والاجتماعية كأسلوب من أساليب مقاومة السيطرة الاستعمارية.

ولعل أبرز دور لهذه المؤسسات الدينية بصورة عامة هو حمايتها للغة والثقافة العربية ومقاومتها الشديدة لسياسة الفرنسة والتتصير وتمسكها الشديد بحماية الشخصية العربية الاسلامية للجزائر وهو مكسب وطني هائل عاد بالنفع على المقاومة الوطنية خلال معارك التحرير المختلفة وخاصة ثورة نوفمبر 1954-1962.

### حالة هذه المؤسسات في عهد الاستقلال الوطني

بعد استعادة الجزائر لاستقلالها الوطني عام 1962، استعاد المسجد دوره ومركزه بفضل رعاية الدولة له، واقبال المواطنين على دعمه بالبناء والتشييد والاصلاح، وذلك في إطار إعادة الوجه العربي الإسلامي إلى هذه البلاد كما كان سابقا.

وتحاول الإطارات الدينية أن تشرك المسجد في عمليات محو الأمية ورفع الوعي الديني والاجتماعي والسياسي للسكان، ولكن الذي يعوق رسالة المسجد حاليا هو ضعف الإطارات الدينية من ناحية التكوين الثقافي، وتحاول وزارة الشؤون الدينية أن تواجه هذا الضعف بالاهتمام بالتكوين عن طريق الإكثار من معاهد التكوين والجامعات الاسلامية والملتقيات الفكرية الاسلامية، وما تزال النتائج المطلوبة والمرجوة بعيدة.

أما باقي المؤسسات الأخرى فقد تعرضت لهزات كثيرة وتواجه حاليا ضعفا وانهيارا في مركزها وسمعتها وأنشطتها وذلك لثلاثة أسباب رئيسية.

**الأول:** اتجاه الأجيال الصاعدة بصفة جماعية إلى التعليم الرسمي الذي يفتح أمامهم سبل المستقبل ويساعدهم على الرقي والتطور الاجتماعي والسياسي.

**الثاني:** تعثر الاصلاحات التي أدخلت على أوضاع الإطارات الدينية ماديا وثقافيا، وضيق أفق العمل والتطور في هذا الميدان والتباطؤ في إنجاز مشاريع الجامعات والمعاهد الإسلامية التي تسمح بتكوين إطارات دينية كفوة وواعية بمسؤولياتها، وواجباتها، وضعف البرامج التربوية التي كانت تطبق في المعاهد الدينية السابقة التي انجزت في عقد الستينات والسبعينات وذلك من الأسباب التي نفرت الشباب من الالتحاق بهذه المؤسسات والارتباط بها، فقل الإقبال على الزوايا والكتاتيب القرآنية والمعمرات واضطر الكثير منها إلى غلق أبوابها والذي بقي أصبح ملجأ لمن فاتهم الركب وسدت في وجوههم أبواب مؤسسات التعليم الرسمية بسبب كبر السن أو عوائق أخرى.

**الثالث:** يخص الزوايا وحدها، وهو تمسكها بالطرق والثقافة التقليدية المختلفة واحتضانها لمظاهر الدروشة والركود التي تعوق الفكر والذهن عن الاستيقاظ والتطور، وتعاون البعض منها مع الإدارة الاستعمارية في العهد الاستعماري، فانحطت سمعتها وترزع مركزها الديني والاجتماعي وصارت الجماهير الشعبية تنظر إليها نظرة إزدراء واستخفاف ولربما احتقار، فخبأ نشاطها وتوقف واصبحت تتعرض بصفة تدريجية للموت البطيء حتى لم يبق منها اليوم سوى هياكلها وأسمائها واتضح بعد الاستقلال كذلك بأن المعمرات تجاوزها الزمن في

أسلوب الحياة والتعليم والبرامج، ومحتوياتها، وجاء قرار تأميم المدارس الخاصة ليضع حدا نهائيا لها ولنشاطاتها المختلفة التربوية والاجتماعية، والحقيقة أن القضاء على النشاط الثقافي للزوايا والمعمرات والكتاتيب القرآنية كانت له انعكاسات وتأثيرات سلبية وأصبح الجميع يشعر بحدة المشكل خاصة وزارة الشؤون الدينية وإطاراتها.

ذلك أنه لوحظ عدم الإقبال على حفظ القرآن الكريم والعلوم الدينية، ونشأ فراغ ديني واسع شعرت الإطارات الدينية بخطورته خاصة بعد أن لوحظ تزايد الآفات والانحرافات الاجتماعية التي لم يكن للشعب الجزائري عهد بها قبل ثورة نوفمبر التحريرية الأخيرة.

أن المؤسسات الدينية الآنف الذكر رغم عيوبها ومشاكلها السلبية بالنسبة للوقت الحاضر لها دور تاريخي هام في السابق، وبدلا من اهمالها وتشجيع القضاء عليها ينبغي دعمها بإدخال اصلاحات جذرية على أساليب الحياة فيها والبرامج التعليمية ومحتوياتها وبالدعم المادي لها حتى تشارك في تطوير البلاد وتنوير الأجيال.

وقد أذنت وزارة الشؤون الدينية عام 1979 بإحياء تجديد الكتاتيب القرآنية ورعايتها وتقديم العون لأصحابها حتى يؤديوا دورهم المطلوب كما أذنت بالسماح بإنشاء الجمعيات الدينية لتشارك هي الأخرى في المعركة الثقافية والاجتماعية، والمؤمل أن يسمح للكثير من المعمرات والزوايا بتجديد نشاطها الثقافي والاجتماعي في إطار اختيارات البلاد.

بقيت هناك ملاحظة أخيرة ينبغي الفات النظر إليها وهي ضرورة إعادة النظر في كيفية معالجة الشؤون والقضايا الدينية الاسلامية ذلك أن كثيرا من

الدراسات تاهت في جوانب هامشية خاصة الروحية منها ولو أنها قضايا لا يمكن انكارها.

حقيقة كان هناك اهتمام واضح لتعريف المسيحيين بكل جوانب الفكر والقضايا الاسلامية ولكن التركيز على ما يمكن تسميته بالصورة المشوهة اساعت للعلاقة بين المجتمعين: الاسلامي والمسيحي وعمق الهوة بينهما.

وبكل تأكيد فإن الكثيرين من الباحثين المستشرقين حاولوا أن يكونوا نزهاء ولم يقصدوا إبراز مثل هذه الصورة المشوهة ولكن بحوثهم انتهت إلى هذه النتيجة، إما بسبب التسرع في البحث، وإصدار الأحكام، أو الاعتماد على مصادر غير نزيهة، أو عدم الاستيعاب للمعارف الاسلامية بالقدر الكافي.

ولعل من أسباب هذا الاتجاه لبعض الدراسات الاستشراقية للقضايا الاسلامية هو إنجازها في الفترة التي كانت فيها المجتمعات الاسلامية متخلفة وراكدة، وتصورها للقضايا من ذلك الواقع المختلف، وليس من حقيقة الاسلام الاساسية، ويمكن أن نظيف إلى هذا الفترة الاستعمارية التي لها دخل في ذلك التصور الخاطيء ولكن زوالها يستوجب إعادة النظر فيما أنجز خلالها على غير حقيقته في هذا الميدان.

**ببلوغرافيا مصادر البحث**

**أ. بالعربية**

- بروكلمان (كارل) :

تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة فارس (نبيه أمين) البعلكي (منير)،  
(دار العلم للملايين بيروت 1974) (ص 901)

- بوعزيز يحي:

أ. ثورة محمد المقراني والشيخ ابن الحداد، مجلة الأصالة، عدد 2 (الجزائر - ماي 1971) (ص 22 - 29).

ب. الحقيقة عن دور زاوية صدوق والاخوان الرحمانيين في ثورة 1871 الاصاله عدد 15/14. (الجزائر ماي جوان جويلية 1973) (ص 161-172).

ج. ثورة 1871 دور عائلتي المقراني والحدّاد (الجزائر - 1978) ص 471

- الحفناوي (أبو القاسم محمد) :

تعريف الخلف برجال السلف (الجزائر مطبعة فونتالة 1906) 2 أ ج. ص 207 + ص 250.

أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا في بلاد القبائل (الجزائر، مطبعة فونتالة، 1913 ع 1321 هـ) ص 127.

- ستودار (لوثروب):

حاضر العالم الاسلامي، ترجمة نويهض (عجاج) وتعليق أرسلان (شكيب)، (بيروت-1971 ج 2. م 2 ص 400).

- الغمريني (أبو العباس أحمد بن عبد الله)

عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق ابن أبي شنب (محمد) (الجزائر - المطبعة الثعالبية) 1328 هـ-1910 م) 226 + ص 8.

- ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد):

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق وتعليق ابن أبي شنب (محمد) (الجزائر المطبعة الثعالبية – 1326 هـ - 1908) ص 315 + 65.

- محمد (الأمير)

تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر 2 أ. ج. ط. أ. (الاسكندرية 1903) ص 314 + 313

الورتلاني (الحسن بن محمد)

نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتلانية تحقيق ابن أبي شنب (محمد) (الجزائر مطبعة فونتالة – 1908-1326 هـ) ص 819.

#### ب. دور المحفوظات :

- أرشيف ولاية وهران يوجد به ملف خاص عن الزوايا

- أرشيف ما وراء البحر بجامعة إيكس أن بروفانس (A. O. M) به مجموعة من الملفات أهمها :

- 16 H 1 : confrerie
- 16 H 2 : confrerie des tidjaniyas.
- 16 H 2 : (2) confrerie des tidjaniyas
- 16 H 3 : autres confreries
- 8 x 222 : notes sur les confreries de l'arrondissement de BATNA.